الميليشيات والحركات المسلحة في ليبيا

مجموعة مؤلفين

مراجعة: سارة محمود خليل

أصبح انتشار الميليشيات المسلحة في السنوات الأخيرة أحد الملامح الحادة في منطقة الشرق الأوسط. وتشهد الساحة الليبية على وجه التحديد، صعود العديد من التنظيمات المسلحة في ظل غياب واضح لمؤسسات الدولة بعد الاحتجاجات التي شهدتها منذ مطلع عام 2011. فبمجرد رحيل القذافي أصبحت ليبيا بيئة خصبة لنشاط العديد من الجماعات المتطرفة، نتيجة انتشار الأسلحة وتهريبها من خلال الحدود، فضلًا عن الصراعات الداخلية، الأمر الذي بات يُشكل تهديدًا ليس على الداخل الليبي فحسب، بل على دور الجوار أيضًا.

ومن أبرز التهديدات التي شهدتها ليبيا مؤخرًا من قبل الجماعات الجهادية المسلحة، إعلان جماعة "مجلس شورى شباب الإسلام" في إبريل 2014، تأييدها لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، واعتبار مدينة "درنة الليبية" جزءًا من الدولة الإسلامية، وهذا يشير إلى الشعبية التي يتمتع بها (تنظيم الدولة) في أنحاء كثيرة من العالم خارج حدود العراق وسوريا.

وعلى الرغم من أهمية القضية المُثارة، إلا أنها لم تلق اهتمام كثير من الباحثين. مما جعل هذا الكتاب ينفرد بتناول تلك القضية من جوانب مختلفة تحت عنوان: " الميليشيات والحركات المسلحة في ليبيا" من خلال جزأين، أحدهما نظري يتناول بداية الحركات المسلحة في المنطقة، والآخر تطبيقي، يركز على عدد من المحاور المهمّة، منها: عوامل صعود التنظيمات المسلحة، ومحددات تأثير تلك الحركات، ورصد خريطة الحركات المسلحة هناك وأهمها، وتداعيات صعود الحركات المسلحة في ليبيا على مستويات عدة، وتأثير ذلك في الأمن القومي المصري، وأخيرًا رؤية استشرافية لمستقبل الدولة الليبية في ظل التحديات التي تواجهها.

ويأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة كتب تحت عنوان: "الجماعات الجهادية... نظرة عن كثب"، حيث تركز هذه السلسة على دراسة الجماعات الجهادية والمليشيات المسلحة في الوطن العربي، ومنها هذا الكتاب الذي يُسلط الضوء على المليشيات المسلحة في ليبيا.

وقد أعد هذه الكتاب مجموعة من الباحثين المتخصصين في العلوم السياسية، وهم: جهاد عودة أستاذ العلوم السياسية بكلية تجارة حلوان والجامعة البريطانية، ومحمود خليفة جوده مدير المشروعات البحثية والتدريب بالمركز الديمقراطي العربي، وأحمد عبد التواب الخطيب مدير وحدة التحليلات السياسية بمركز الخليج للدراسات الإستراتيجية.

التأصيل لبداية ظهور الجماعات المسلحة في المنطقة

استهلَّ الباحثون المشاركون كتابهم بتناول بداية ظهور الجماعات المسلحة في المنطقة، التي كانت في النصف الأول من القرن الماضي، منذ تفشّي الاستعمار في معظم دول العالم الثالث، مما دفع شعوب تلك الدول إلى المقاومة، فنشطت الميليشيات الوطنية، وقامت بأعمال عسكرية ضد جيوش الدولة المحتلة. ولم تكن هناك حروب ميليشيات على نطاق واسع لأسباب دينية حتى بداية الربع الأخير من القرن الماضي. وأرجع الباحثون ميلاد الميليشيات الدينية على نطاق واسع إلى سنة 1979، حيث احتل الشيوعيون السوفييت أفغانستان، ومن ثَمّ كانت مقاومة الاتحاد السوفيتي أحد أهم أسباب تشكل "السلفية الجهادية" وظهور "تنظيم القاعدة". ووصل تهديد الجماعات المسلحة أقصاه في هجمات 11 سبتمبر 2001 ضد الولايات المتحدة، مما أدى إلى ظهور ما يُسمى بـ"الحرب على الإرهاب"، واتخاذ الولايات المتحدة من الإرهاب ذريعة لغزو أفغانستان والعراق في 2001، و2003 على التوالي.

وعلّل الباحثون أسباب الانتشار الواسع للميليشات المسلحة في المنطقة بعودة العناصر المسلحة بعد انتهاء الحرب في أفغانستان إلى الوطن الأم، بعد انحسار دورها في أفغانستان وباكستان، وظهور ملامح تفكك الدولة المركزية، وغيرها من الأسباب التي ذكرها الكتاب.

عوامل صعود التنظيمات المسلحة الليبية

تناول الباحثون عوامل صعود التنظيمات المسلحة الليبية من خلال فترتين، إحداهما تتعلق بفترة ما قبل الثورة، حيث نظام القذافي والسياسات التي اتبعها، وضعف الجيش والشرطة، والأخرى مرتبطة بفترة ما بعد ثورة 17 فبراير، حيث الافتقار إلى السلطة التنفيذية، وسوء قرارات المجلس الوطني الانتقالي، وانتشار السلاح بشكل كبير.

ويعني ما سبق أن الحكومة الليبية صارت ضعيفة بشكل لا يسمح لها ببسط سيطرتها، فهي مهددة من جماعات مسلحة تفرض نفسها بقوة السلاح، وصارت الدولة افتراضية بدون سلطات حقيقية، وأصبح المؤتمر الوطني العام مقرًّا لأفراد يمثلون الجماعات المسلحة لا الناخبين- بشكل ينذر بانزلاق البلاد نحو نموذج (مافيا) حقيقية في تنظيم شؤونها، وهو ما كان جليًّا في أثناء حصار الوزارات الحكومية من جانب عناصر من اللجان الأمنية العليا.

محددات تأثير الجماعات المسلحة في ليبيا

أشار الكتاب إلى أهم المحددات، التي من شأنها أن تزيد من تأثير التنظيمات المسلحة في ليبيا، وهي: الصعود السياسي لهذه الجماعات، وانتشار الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وتنامي خطر القاعدة، وتراجع دور القبيلة لصالح الميليشيات... وغيرها من المحددات التي تناولها الكتاب باستفاضة وتوضيح.

خريطة الميليشيات والحركات المسلحة في ليبيا

رصد الكتاب خريطة الميليشيات والحركات المسلحة في ليبيا، وأشار الباحثون المشاركون إلى أن عملية الرصد اتسمت بصعوبة بالغة؛ لأنها لاتزال في عملية مستمرة من التشكل وفقًا لعوامل داخلية متنوعة، وتذهب أحد التقديرات إلى أن ثمة 1700 مجموعة على الأقل مجتمعة في 300 جماعة مسلحة أسهمت في الثورة. وبصفة عامة توجد في ليبيا حاليًّا أربعة تصنيفات للجماعات المسلحة، تناول الكتاب كلًّا منها على حدة، من حيث التأثير والعدد والقادة والأماكن المتمركزة فيها، وهي: كتائب الثوّار، والكتائب غير النظامية، وكتائب ما بعد الثورة، والميليشيات.

التداعيات الإستراتيجية لصعود التنظيمات المسلحة

تناول الباحثون هذا المحور من خلال ثلاثة مستويات: أما على المستوى الداخلي فقد أثّر صعود التنظيمات المسلحة في القرار السياسي الليبي، وفي تدهور الأوضاع الأمنية وانتشار الأسلحة، والخلاف على شكل الدولة بعد سقوط القذافي، كما انخفض إنتاج النفط الليبي من 1،4 مليون برميل في اليوم في بداية عام 2013 إلى 0،3 مليون في نهاية عام 2013، وهو ما تسبب في خسائر كبيرة للحكومة الليبية قدرت بملايين الدولارات. وأما على المستوى الإقليمي، فقد أثر صعود التنظيمات المسلحة في ليبيا في دول الجوار، وعلى رأسها الجزائر وتونس ومصر، حيث تتخوف هذه الدول من تعرضها لهجمات، جرّاء تهريب الأسلحة، وتسلل الإرهابيين إليها، واتخذت بعضها إجراءات احتياطية لمواجهة هذه التهديدات. وأما على المستوى العالمي، فتمثّلُ التنظيمات الجهادية تهديدًا كبيرًا للمنطقة يؤثّر في المصالح الفرنسية والأوروبية الحيوية، ويشكّل مصدر قلق متنام للولايات المتحدة، وقد تورطت تلك العناصر الجهّادية منذ أوائل عام 2012 في عدد من الهجمات على المصالح الغربية، مثل القنصلية الأميركية، وأحد مواكب بعثة الدعم التابعة للأمم المتحدة في ليبيا.

تأثير القضية في الأمن القومي المصري

تُعَدّ مصر أحد أبرز دول الجوار الإقليمي لليبيا تأثّرًا بتنامي الجماعات الجهادية، وبخاصة في شرق ليبيا، ولاسيما في ضوء وجود مجموعة من خطوط التشابك الجغرافي والسياسي والأيديولوجي بين التيارات الإسلامية في البلدين، والتغذيات المتبادلة بين الجماعات الجهادية في مصر وليبيا، ونمو الجريمة المنظمة، نتيجة لضعف السيطرة الأمنية على الحدود بين البلدين، واستهداف الميليشيات المسلحة للمصالح المصرية في ليبيا؛ حيث تعرض العمال المصريون إلى عدة حوادث اختطاف في عام 2013 من قبل جماعات مسلحة، وتحولت بعض مناطق شرق ليبيا التي تسيطر عليها جماعات جهادية إلى ملاذ أو معبر آمن لبعض المنتمين للتيارات الإسلامية المعارضة لسلطة العسكر في مصر بعد 30 يونيو. وسلّط الكتاب الضوء هنا على الموقف المصري من الأحداث في ليبيا ومدى التعاون بين البلدين، وتأثير تلك التهديدات في مصر، والتي كان آخرها الحادث المؤسف الذي استهدف ضباطًا وجنودًا من القوات المسلحة المصرية في واحة الفرافرة- الذي كان بمثابة إنذار لا يمكن تجاهله.

رؤية استشرافية لمستقبل ليبيا

طرح الكتاب سيناريوين محتملين لمستقبل الدولة الليبية في ضوء صعود الجماعات المسلحة، أحدهما التصعيد واتساع المواجهات، وهو السيناريو الأكثر احتمالًا في حال انضمت كل القوات القائمة على القاعدة الجوية لخليفة حفتر. والسيناريو الآخر، يتمثل في التسوية السلمية، فقد يدفع الخوف من اندلاع الحرب الأهلية مجموعة من القوى السياسية إلى القيام بوساطة لمنع تدهور الوضع، وتسوية الصراع على أسس سلمية.

وفي نهاية الكتاب، قدّم الباحثون عددًا من التوصيات إلى لمسؤولين الليبيين والقوى السياسية والمجتمع الليبي بشكل عام للتغلب على خطر التنظيمات المسلحة، من خلال فتح حوار بناء وفعّال بين أطراف الأزمة الليبية كافة، يقوم على عدة أسس، منها: تحقيق مصالحة وطنية شاملة بين كلّ الأطراف الليبية من أجل تحقيق الديمقراطية الحقيقية.